المبحث الثاني

مصادر التناص في شعر الصعاليك الأمويين

ضمّن الشعراء الصعاليك في العصر الأموي أشعارهم نصوصًا كثيرة اختلفت مصادرها ، ووظفوا ثقافتهم للاختيار من تلك النصوص بحسب ما دعتهم الحاجة إليه ، فمن هذه المصادر :

أولا : القرآن الكريم :

يسمى التناص مع القرآن في التراث العربي (الاقتباس) وقد حَدَّه (السيوطي) بقوله : « تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا على أنَّه منه ، بألا يقال قال تعالى ونحوه ، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا »[1] ونقل خلاف الفقهاء في حكمه ، وعلى أساس الحكم كان تقسيمه ؛ فهو عنده « ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود ، فالأول : ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ، والثاني : ما كان في القول والرسائل والقصص ، والثالث : على ضربين ، أحدهما : ما نسبه الله إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه والآخَر : تضمين الآية معنى هزل نعوذ بالله من ذلك »[2] .

---

(١) الإتقان : ٢٣٥ ، ويُنظَر كلامه عن التضمين : ٥٩٨ .

(٢) الإتقان : ٢٣٥ . جاء القميص شاهدًا في ثلاثة مواضع من سورة يوسف ، هي قال تعالى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ (يوسف:١٨) وقوله : ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ (يوسف:٩٣-٩٤) ، والآية التي استشهدت بها في أعلاه .

وله شواهد من شعر الصعاليك :

١- قوله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (يوسف:٢٦-٢٧) .

يقول (جحدر العكلي) [(١)] : [الكامل]

ثُــمَّ انْتَنَيْــتُ وفي قَمِيْصِــي شَــاهِدٌ مِمَّا جَــرَى مِــنْ شَــاخِبِ الأَوْدَاجِ

شهادة القميص في بيت الشعر جاءت بالتناص مع الآية الكريمة ، مع اختلاف في أدلة الشاهد (القميص) ، ففي الآية دليله القد وفي بيت الشعر دليله الدم (شاخب الأوداج) ، وقد آثرت التصريح بالشهادة (شهد شاهد) و(وفي قميصي شاهد) على دليل الشهادة ؛ لأنَّ قوله تعالى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ (يوسف:١٨) ، وإن كان شاهدًا بالدليل (الدم) المشترك مع البيت غير أنه لم يصرح بأنَّه شاهد .

ثم إن استعمال القميص شاهدًا استعمال فيه تأكيد على البراءة ، وهو دليل إثبات براءة من الذنب الذي أُخذ به ، كما كان القميص شاهدًا على براءة يوسف (عليه السلام) .

٢- قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ (آل عمران:١٨٥)، الأنبياء:٣٥ العنكبوت:٥٧ . وقد ورد معنى ها في قول جحدر العكلي[(٢)] : [البسيط]

يَا نَفْسُ لا تَجْزَعِــي إِنِّــي إِلى أَمَــدٍ وَكُــلُّ نَفْــسٍ إِلى يَــوْمٍ وَمِقْــدَارِ

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٧٢ . والشُّخْبُ : ما امتد من اللبن متصلا بين الإناء والطبي . وشَخَبْتُ اللبن فانْشَخَبَ ، وقد شَخَبْتُ أوداج المقتول دمًا . العين : (شخب) ٢/٣١٣ .
(٢) شعراء أمويون : ١/١٧٥ .

٣- قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف:٥٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (النور:٢٩) . في هذا المعنى يقول (جحدر العكلي) أيضًا [1] : [البسيط]

ادْعِيهِ سِرًّا ونَادِيهِ عَلانِيَةً ... واللهُ يَعْلَمُ إعْلانِي وإسْرَارِي

قوله تعالى : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (الكهف:١٧) . وقد جاء هذا المعنى في شعر (الخطيم المحرزي) ، إذ يقول [2] : [الطويل]

فَلا وَالذي مَنْ شاءَ أغْوَى فَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ مُرْشِدٌ ومَنْ شاءَ أرْشَدَا

٥- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ (سبأ:١٠-١١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ (الأنبياء:٨٠) .

وهذا المعنى أورده (حريث بن عناب الطائي) في قوله [3] : [الطويل]

بِبَيْضٍ خِفَافٍ مُرْهَفَاتٍ قَوَاطِعٍ ... لِدَاودَ فِيهَا أَثْرُهُ وَخَوَاتِمُهْ

وهذا التناص يكون من التناص التاريخي أيضًا ؛ لأن الخبر بأن داود (عليه السلام) كان حدادًا من التاريخ .

---

(١) شعراء أمويون : ١/١٧٦ .

(٢) المصدر نفسه : ١/٢٦٣ .

(٣) أشعار اللصوص وأخبارهم : ١/١٥٠ . وفي شرح الحماسة للمرزوقي نسب البيت إلى أبان بن عبدة وقال في تفسيره : « وداود عليه السلام إنما سرد الدروع لما لين الله الحديد له معجزةً لا السيوف ، لكن القصد إلى العتق والقدم ، لا إلى الطبع والعمل والأثر : فرند السيف . وذكر الخواتم مثلٌ ، أي هي مما اتخذ في أيامه ، واستعمل تحت خواتمه» . ١/٦٣٥-٦٣٦ .

٧- قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح:٥-٦) .
يقول القتال الكلابي[١] : [الطويل]

يَرَى أَنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا وَلاَ يَرَى إِذَا كَانَ يُسْرٌ أَنَّهُ الدَّهْرَ لاَزِبُ

٨- قال تعالى : ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾ (الشمس:١٢) . وجاء معناها في قول مالك بن رفيع[٢] : [الوافر]

شَقَيْتُ بِهِمْ عَلَى طُوْلِ التَّنَائِي كَمَا شَقِيَتْ بِأَحْمَرِهَا ثَمُوْدُ

٩- قال تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ (النساء:٧٨) . يقول مالك ابن الريب في مثل معنى الآية[٣] : [الخفيف]

أَنَا فِي قَبْضَةِ الإِلَهِ إِذَا كُنْ تُ بَعِيْدًا أَو كُنْتُ مِنْكَ قَرِيْبَا

ضمَّن الشعر معنى الآية في بيته . وكذلك فعل (الخطيم المحرزي) بقوله[٤]: [الطويل]

فَقُلْتُ لَهَا إِنِّي سَتَبْلُغُ مُدَّتِي إِلَى قَدَرٍ مَا بَعْدَهُ لِيَ مِنْ قَدرِ

يلاحظ أن التناص مع القرآن كان غير لفظي ؛ بمعنى أنَّه لم يأت شاعر من الشعراء الصعاليك بآية كاملة لفظة بلفظة ، وإنما أتوا بمعاني بعض الآيات ، وهو من النوع المقبول بحسب قول السيوطي .

ثانيًا : الحديث الشريف :

يُحدَّ الحديث الشريف بأنه « هو عند الإطلاق ينصرف إلى ما حُدِّث به

---

(١) ديوان القتال الكلابي : ٢٩ . لزب : اللُّزبُ : الأَزْبة . والأَزْب : الشِّدّة والصّلابة . ولَزَبَ لُزُوباً ، أي : لزق ، والطّينُ اللاّزبُ منه . العين : (لزب) ٨١/٤ .

(٢) ذيل الأمالي والنوادر : ١٢٨/٣ .

(٣) شعراء أمويون : ٢٥/١ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٥٨/١ .

عنه ﷺ النبوة من قوله وفعله وإقراره ؛ فإن سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة »[1].

وقد تضمنت أشعار الصعاليك في العصر الأموي ، معاني لأحاديث شريفة ؛ وهي أحاديث قولية ويلاحظ أنها قليلة إذا ما قُورِنَت بنصوص القرآن ، وهي :

١- قال ﷺ : « الحياء خير كُلُّه » قال أو قال : « الحياء كُلُّه خير »[2]

جاء معنى الحديث دون لفظه في قول القتال الكلابي[3] : [البسيط]

وَاسْتَحْيِيا أَنْ تَلُوْمَا أَو أَلُوْمَكُمَا ... إِنَّ الحَيَاءَ جَمِيْلٌ أَيَّمَا حَالِ

٢- قال رسول الله ﷺ :« المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »[4].

وجاء (المَرَّار) بمعناه بجملة (كل امرئ بإمرئ لابد مؤتزر) من قوله[5] : [البسيط]

وَقَدْ لَعِبْتُ مَعَ الفِتْيَانِ مَا لَعِبُوا ... وَقَدْ أَجِدُّ وَقَدْ أَغْنِي وَأَفْتَقِرُ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ جِدِّي وَمِنْ لَعِبِي ... كُلُّ امْرِئٍ بِامْرِيءٍ لا بُدَّ مُؤْتَزِرُ

ثالثًا : الشعر :

إن تعاور المعاني في الشعر يكثر حتى أن المعاني المبتدعة قد لا يوقف على مبدعها على الحقيقة لكثرة تداولها ، وقد نالت هذه القضية اهتمام نقاد

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (كتاب الحديث) : ١٨/٦-٧ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان (باب شعب الإيمان) برقم (٦١) : ٣٨ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٨١ .

(٤) المستدرك على الصحيحين ، تأليف : محمد بن عبد الله بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي وبذيله : تتبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي ، لأبي عبد الله مقبل بن هادي الوادعي ، دار الحرمين للطباعة والنشر ، مصر ـ القاهرة ، ط/١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م : ٤/٢٨٥ ، كتاب البر والصلة بالرقمين : ٧٣٩٩ ، ٧٣٩٨ .

(٥) الشعر والشعراء : ٢/٦٩٩ ، ديوان اللصوص : ٢/٢٢٣ .

الأدب القديم ، فقضية السرقات لا يكاد يخلو مُؤلَّف في الأدب والبلاغة منها ، وكتاب الأشباه والنظائر في أشعار المتقدمين شاهد على هذا الاهتمام[1].

١- يقول (جميل بن معمر)[2] : [الطويل]

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيْلُ بِغَزْوَةٍ وَأَيُّ جِهَادٍ غَيْرُهُنَّ أُرِيْدُ

جاء في شعر تليد الضبي [3] : [الطويل]

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا تَلِيْدُ بِتَوْبَةٍ وَفِي النَّفْسِ مِنِّي عَوْدَةٌ سَأَعُوْدُهَا

الشاعران أمويان ، غير أن (جميل عاش) إلى سنة اثنين وثمانين هجرية (وتليد) وإن لم تحدد المصادر وفاته غير أنَّه كان في زمن عمر بن عبد العزيز الذي بُويع له سنة تسع وتسعين [4] وقد أخذ في أيامه على اللصوصية[5].

٢- يقول (عبدالله بن أنيس) [6] (رضي الله عنه) : [الطويل]

تَنَاوَلْتُهُ وَالظَّعْنُ خَلْفِي وَخَلْفَهُ بِأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الحَدِيدِ مُهَنَّدِ

يقول عبد الله الأحدب السعدي[7] : [الطويل]

---

(١) يُنظَر : الأشباه والنظائر ، للخالديين : يقولان : «ومن تصفح أشعار العرب رأى من هذا عجائب ، وهم يسمونه التوارد وهو عندنا سرقة لا محالة» : ٢٠/١ .

(٢) ديوان جميل بثينة ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ـ د . ط : ١٩٨٢م : ٧٧ .

(٣) ديوان اللصوص : ١٤١/١ .

(٤) يُنظَر : بلغة الظرفاء : ١٥٥ .

(٥) يُنظَر : معجم البلدان : ١٢٧/٢ .

(٦) هو عبدالله بن أنيس بن أسعد أبو يحيى ، شهد العقبة بعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسرية وحده إلى سفيان بن خالد ، وأمره بقتله فقتله ، وأعطاه (صلى الله عليه وسلم) عصا وبشره بالجنة ، يُنظَر : المنتظم : ٢٤٧/٥ .

(٧) الأغاني : ١٦٨/٢١ ، ديوان اللصوص : ٣٧٧/١ وقد نسب إلى بهدل الطائي ، في أنساب الأشراف : ٢٦٨/١١ .

لَمَّـــا دَعَـــانِي السَّـــمْهَرِيُّ أَجَبْتُـــهُ بِأَبْيَضَ مِـــنْ مَـــاءِ الحَدِيْـــدِ صَـــقِيْلِ

وجاء نص الشطر الثاني من بيت الأحدب في شعر العديل[1]؛ إذ يقول : [الطويل]

بوادي حـــنين ليلـــة البـــدر رعتـــه بأبيض مـــن مـــاء الحديـــد صـــقيل

والسبق فيما يظهر ومن خلال المصادر التي بين يديّ أنّه لعبد الله بن أنيس (رضي الله عنه) .

٣- يقول (عمرو بن مَعْدِي كَرِب الزُّبيدي)[2] : [الطويل]

وَمُرْدٍ عَلى جُـــرْدٍ شَـــهِدْتُ طِرَادَهَـــا قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّـــمْسِ أَو حِـــيْنَ ذَرَّتِ

وقد ورد صدر البيت فيما يقول (القتال الكلابي) [3] : [الطويل]

وَمُرْدٍ عَلى جُـــرْدٍ يُسَـــارِ لِمَجْلِـــسٍ كِـــرَامٍ بِأَيْـــدِيْهِمْ مَـــوَارِنُ ذُبَّـــلِ

الشاعر (عمرو بن معد كرب) ، متقدم على القتال فهذا اللفظ (مرد على جرد) قد يكون القتال قد أخذه من (عمرو بن معد كرب) ، أو وقع منه تواردًا دون قصد .

٤- (أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً)

هذا صدر بيت كثر تداوله بين الشعراء ، ولعل أقدم من ذكره رجل عرف بنسبه إلى (جرهم) «على دين إبراهيم وإسماعيل وكان شاعرًا ، فزعموا أن (عمرو بن لحي) أخرج ذلك (الجرهمي) من مكة فنزل بأطم من أعراض مدينة النبي ﷺ نحو الشام وقد تشوق إلى مكة :

---

(١) الأغاني : ٢٢/٢٢٩ .

(٢) شعر عمرو بن معدي كَرِب الزبيدي ، جمعه ونسقه : مطاع الطرابيشي مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ، ط/٣ ، ١٩٨٥م : ٧٠ .

(٣) ديوان القتال الكلابي : ٧٤ .

أَلاَ لَيْتَ شِـعْرِي هَـلْ أَبِيـتَنَّ لَيْلَـةً وَأَهْلِي مَعًـا بِالْمَـأْزِمَيْنِ حُلُـولُ»[1]

عاش هذا الرجل في زمن الجاهلية ، وقد استعمل (بلال بن رباح) هذا الشطر في الإسلام فبعد الهجرة أصابت الحمى بلالا في المدينة ؛ فقد روى البخاري عن عائشة أنَّها قالت : «وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته فيقول :

أَلاَ لَيْتَ شِـعْرِي هَـلْ أَبِيـتَنَّ لَيْلَـةً بِـوادٍ وحَـولِي أذخِـر وجليـل»[2]

أما الشعراء الصعاليك في عصر الأمويين فقد استهل به (مالك بن الريب) قصيدته المشهورة في رثاء نفسه فقال[3] : [الطويل]

أَلاَ لَيْتَ شِـعْرِي هَـلْ أَبِيـتَنَّ لَيْلَـةً بِجَنْبِ الغَضَى أُزْجِي القِلاَصَ النَّوَاجِيَا

وأخذه (الخطيم المحرزي) [4] فقال : [الطويل]

أَلاَ لَيْتَ شِـعْرِي هَـلْ أَبِيـتَنَّ لَيْلَـةً بِأَعْلَى بَلِيٍّ ذِي السَّلاَمِ وَذِي السِّـدْرِ

الذي يظهر أن (مالك بن الريب والخطيم المحرزي) لم يأخذا صدر بيتهما من شاعر محدد ممن سبقهما ، وإنما مثل هذا يجري في التناص على نحو ما تجري الأمثال وحكم العرب ، فلا حرج على شاعر أن يأخذ مثل ما تضمنه صدر البيت الشعري من معنى عام يوظفه لخدمة غرضه . ولعل أشهر من أخذ هذا الصدر

---

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تأليف : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت ٢٥٠ هـ) حقيق ودراسة : الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة الأسدي ، المملكة العربية السعودية ـ مكة المكرمة ، ط/١ ٢٠٠٣م : ١٦٥/١ . والمأزمان : هما جبلا مكة وليسا من المزدلفة ، الواحد مأزم . يُنظَر : معجم البلدان : ٤٠/٥ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المرضى ، باب من دعا برفع الوباء والحمى : ٨٢٤ رقم (٥٦٧٧) وكتاب التمني ، (باب قوله صلى الله عليه وسلم ليت كذا وكذا) : ١٠٢٢ رقم (٧٢٣١) . والجَلِيلُ : الثُّمامُ وَهُوَ نَبتٌ ضَعِيفٌ يُحْشَى بِهِ خَصاصُ البُيُوت ، تاج العروس : (جلل) ٢٢٥/٢٨ .

(٣) شعراء أمويون : ٤١/١ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٥٨/١ .

فضمنه شعره هم : جميل بثينة[1] ومجنون ليلى[2] وابن ميادة[3] وأبو فراس الحمداني[4] والشريف الرضي[5].

٥- (وهل تنفع الشكوى إلى من يزيدها)

هذا عجز بيت تداوله شعراء منهم (أبو رجاء العطاردي)[6] إذ يقول :

إِلَى اللهِ أَشْكُو ثُـمَّ أَشْـكُو إِلَيْكُمَـا وَهَلْ تَنْفَعُ الشَّكْوى إِلى مَـنْ يَزِيـدُهَا

وقد أخذ هذا العجز (طهمان بن عمرو الكلابي)[7] في قوله : [الطويل]

خَلِيْلَيَّ إِنِّـي اليَـومَ شَـاكٍ إِلَيْكُمَـا وَهَلْ تَنْفَعُ الشَّكْوى إِلى مَـنْ يَزِيـدُهَا

وقد أخذ (ابن الدمينة)[8] بيت طهمان بن عمرو الكلابي بالتناص من ديوانه ، وعند الخالديين يتناص مع بيت أبي رجاء العطاردي[9].

---

(١) ديوانه : ١٩٩ .

(٢) ديوان قيس بن الملوح ـ مجنون ليلى ـ رواية أبي بكر الوالبي ، دراسة وتعليق : يسري عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٩م : ٣٥ .

(٣) ديوانه : ١٩٩ .

(٤) ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح الدكتور : خليل الدويهي ، دار الكتاب العربي ، بيروت : ط/٢ ، ١٩٩٤م : ٤٣ .

(٥) ديوان الشريف الرضي ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، ١٩٦١م : ١٧٤/١ .

(٦) توفي سنة سبع عشرة ومائة ، اختلف في اسمه ، أدرك النبي ﷺ ، وهو شاب أمرد شهد جنازته الحسن البصري والفرزدق ، وقد قال الأخير فيه : [الطويل]

أَلَمْ تَـرَ أن النَـاس مَـات كَـبِيرهم وقد عاش قبـل البعـث بعـث محمـد

يُنظَر : الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ) ، تحقيق : الدكتور علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ـ مصر ، ط/١ ، ٢٠٠١م : ١٣٨/٩-١٤٠ .

(٧) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٦٢ .

(٨) ديوان ابن الدمينة ، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب ، تحقيق : أحمد راتب النفاخ ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ـ مصر ، د . ط ، ١٣٧٩هـ : ٥٠ .

(٩) الأشباه والنظائر ، للخالديين : ٧٥/٢ .

٦- **البيت :** [الطويل]

وَلَنْ يَلْبَثَ الوَاشُونَ أَنْ يَصْدَعُوا العَصَا إِذا لَمْ يَكُنْ صُلْبًا عَلى البَرْيِ عُودُهَـا

نُسِب البيت إلى أعرابي لم يحدد اسمه أو زمنه [١]، وقد ذُكِر في شعر طهمان ابن عمرو الكلابي ، وفيه بدل (يصدعوا) (يكسروا) [٢]، ونسبه الخالديان إلى ابن الدمينة [٣]ولا يجود في ديوانه : كما نسبه الصفدي إلى كثير عزة [٤]، وليس في ديوانه .

٧- (وما أنس مِ الأشياء لا أنس . . .) [٥]

هذا بعض الشطر تداوله شعراء كثر ، كان منهم الجاهلي كعروة بن الورد ـ عروة الصعاليك ـ [٦]وعبدالله بن علقمة الكناني صاحب حُبيشة[٧]ومنهم الخارجي كالطرماح بن حكيم [٨] ، ويروى (فما أنس مل أشياء) كذا هو عند

---

(١) أمالي القالي : ٤٣/١ .

(٢) ديوان اللصوص : ٣٧٢/١ .

(٣) الأشباه والنظائر : ٧٥/٢ .

(٤) يُنظَر : تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون ، لخليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ـ لبنان ، د. ط ، ١٩٦٩م: ٢٢٦ .

(٥) وقع حذف في نون حرف الجر (من) في (وما أنسم الأشياء ...) يُنظَر : لسان العرب : (حور) ٢١٩/٤ .

(٦) ديوان عروة بن الورد (أمير الصعاليك) دراسة وشرح وتحقيق : أسماء أبو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، د . ط ، ١٩٩٨م : ٦٦ .

(٧) نهاية الأَرَب في فنون الأدب ، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ) ، تحقيق : علي محمد هاشم وعبد المجيد ترحيني وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٤م : ٢٢٤/١٧ .

(٨) ديوان الطرماح بن حكيم ، عني بتحقيقه : الدكتور عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت ـ لبنان ، حلب ـ سورية ، ط/٢ ، ١٩٩٤م : ١٨١ ، الوافي بالوفيات : ٢٤٥/١٦ .

هُدْبَة بن الخَشْرم العُذْرِي[1] وجميل بثينة[2] وكثير عزة [3]، وابن ميادة [4] وهم أمويون .

ومن الصعاليك الأمويين ذكره كل من القتال الكلابي وآخر كلمة فيه هي (نسوة)[5]، وجعفر بن علبة الحارثي وآخر كلمة عنده هي (قولها)[6] ، وهو عند الخطيم المحرزي وآخر كلمة فيه هي (طائعًا) مع اختلاف في ألفاظه وهو : «وما أنس مل أشياء لا أنس . . .»[7] .

مع العرض أن هذه الألفاظ جاءت في روايات البيت لعدد من الشعراء الذين ذكروا وهم : عروة بن الورد [8] وعبد الله بن علقمة الكناني[9] وجميل بثينة [10] وكثير عزة [11] وابن ميادة [12]. في على ما يظهر رواية عامة فيه .

---

(١) شعر هُدْبَة بن الخَشْرم العُذْرِي ، إعداد : الدكتور يحيي الجبوري ، دار القلم ، الكويت ، ط/٢ ، ١٩٨٦م : ١٥١ .

(٢) ديوانه : ١٥ .

(٣) ديوان كثير عزة ، جمعه : الدكتور إحسان عبّاس ، دار الثقافة ، بيروت ، د . ط ، ١٩٧١م : ٧٦ .

(٤) ديوانه : ٢٠٦ .

(٥) ديوان القتال الكلابي : ٤٩ .

(٦) ديوان اللصوص : ١٩٥/١ .

(٧) شعراء أمويون : ٢٥٨/١ .

(٨) يُنظَر : الجيم : (الأحور) ٢١٧/١ .

(٩) مصارع العشاق ، لأبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ (ت٥٥٠هـ) دارصادر ، بيروت ـ لبنان ، د . ط ، د . ت . : ٣١٥/١ .

(١٠) الحماسة البصرية : ١٥٠/١ .

(١١) منتهى الطلب : ١٣٥/١ .

(١٢) ديوان الحماسة : ١٤٤ .

٨- (علي دماء البدن)

جاءت هذه الجملة في شعر عدد من الشعراء ، أقدم من وقفت عنده هو (سويد بن أبي كاهل) إذ يقول[١] : [الطويل]

حَسِبْتُمْ هِجَـانِي إِذْ بَطِنـتُمْ غَنِيْمَـةً عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُدْنِ أَنْ سَـوْفَ تَنْـدَمُوا

وقد أخذها من صعاليك العصر الأموي (مالك بن الريب)، فقال[٢] : [الطويل]

عَلَيَّ دِمَـاءُ الْبُـدْنِ إِنْ لَـمْ تُفَـارِقِي أَبَا حَرْدَبٍ يَومًا وَأَصْـحَابَ حَـرْدَبِ

(وتوبة بن الحُمَيِّر) يقول [٣] : [الطويل]

عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُـدْنِ إِنْ كَـانَ زُوْجُهَـا يَرَى لِيَ ذَنْبًـا غَيْـرَ أَنِّـي أَزُوْرُهَـا

كما أخذه (عطار بن قران)[٤] : [الطويل]

عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُـدْنِ إِنْ لَـمْ تُمَارِسِـي أُمُوْرًا عَلَـى قُـرَّانَ فِيْهَـا تُكَـالِفُ

كما أخذه (كثير عزة [٥] والشريف الرضي) [٦] من بعدهم .

٩- **يقول (طهمان بن عمرو الكلابي)** [٧] : [الطويل]

إِذَا سَـايَرَتْ أَسْـمَاءُ يَوْمًـا ظَعِيْنَـةً فَأَسْمَاءُ مِـنْ تِلْـكَ الظَّعِيْنَـةِ أَمْلَـحُ

---

(١) ديوانه : ٣٩ . والبَدْنَةُ : ناقةٌ أو بَقَرةٌ ، الذكر والأنثى فيه سواءٌ ، يُهدَى إلى مكّةَ ، والجميع البُدْنُ . العين : (بدن) ١٢٢/١ . ومعناها : أتحمل ثمن دماء البدن التي تهدى في مكة .

(٢) شعراء أمويون : ٢٧/١ .

(٣) ديوان توبة بن الحُمَيِّر : ٣٩ .

(٤) معجم البلدان : ٣١٩/٤ .

(٥) ديوانه : ١٢٩ .

(٦) ديوانه : ١٥٠/٢ .

(٧) شرح ديوان طهمان بن عمرو الكلابي : ١٤٠ .

وقد أخذه (جرير) كاملاً إلا بإبدال (ظعينة) في الشطرين بـ(ظعائن) يقول[1] :

إِذَا سَايَرَتْ أَسْمَاءُ يَوْمًا ظَعَائِنَ فَأَسْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الظَّعَائِنِ أَمْلَحُ

٣- يقول (مالك بن الريب)[2] : [مجزوء الكامل]

العَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا والحُرُّ يَكْفِيهِ الوَعِيدُ

قال (ابن قتيبة) : عن مالك «ومما سبق إليه فأخذ عنه قوله : . . .»[3] وجاء ببيته ، ونقل ثلاثة أبيات من الشعر تتناص وبيت مالك ، وهي لمجهول ولابن المُفرِّغ ولبشَّار ، وقد جعله القاضي الجرجاني من المعاني التي أخذت من مالك[4] .

٤- **قال (مالك بن الريب)** :[5] [الطويل]

يَقُولُونَ لاَ تَبْعَدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَلَيْسَ مَكَانُ البُعْدِ إِلا مَكَانِيَا

وقول (هُدبة بن الخشْرم)[6] : [الطويل]

يَقُولُونَ لاَ تَبْعَدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَلَيْسَ مَكَانُ البُعْدِ إِلا مَرَانِحي

---

(١) ديوانه : ٨٤ .

(٢) شعراء أمويون : ٢٨/١ .

(٣) الشعر والشعراء : ٣٥٤/١-٣٥٥ .

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ١٧٠-١٧١ .

(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ١٧٣ ، شعراء أمويون : ٤٦/١ وديوان اللصوص : ١٨٢/٢ وفيهما : (وأين مكان) بدل (وليس مكان) . وفي لسان العرب : (بعد) يقول : «العرب بعضهم يقول بَعُدَ وبعضهم يقول بَعِدَ مثل سَحُقَ وسَحِقَ ومن الناس من يقول بَعُد في المَكَان وبَعِدَ فِي الهَلاَكِ ، وَقَالَ يُونُسُ : العرب تقولُ : بَعِدَ الرَّجُلُ وبَعُدَ إِذا تَبَاعَدَ في غير سببٍ ويقال في السَّب : بَعِدَ وسَحِقَ لا غير» .

(٦) شعر هُدبَة بن الخَشْرم العُذْري : ٨٩ .

وقد جعل (القاضي الجرجاني) المعنى لمالك بن الريب أخذه منه (هُدْبَة ابن الخَشْرم العُذْري)[1].

٥- يقول (حريث بن عناب الطائي)[2]:

أَتَرْجُو حيَّ أَن يَجِيءَ صغارها بخيرٍ وقد أعيا حيّاً كبارها

يقول (الآمدي) (ت٣٧٠هـ) بعد أن ذكره: «فأخذه الفرزدق[3] فقال:

أَتَرْجُو كُلَيْبٌ أن يَجِيءَ صغارها بخيرٍ وقد أعيا كليبا كبارها

فأخذه (البعيث)[4] يهجو (جريراً) فقال:

أَتَرْجُو كُلَيْبٌ أن يَجِيءَ حَدِيثُهَا بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كُلَيْبًا قَدِيمُهَا»[5]

رابعًا: التاريخ:

هناك أحداث يسجلها التاريخ وهذه الأحداث سواء كانت مناقبَ أم مثالبَ، تحفظهما الذاكرة لتعيد صياغتها بالتناص وتوظفهما لأغراض يرمي إليها المنتج؛ فيضمنها النص وتتسم هذه الأحداث في العادة بشهرتها في أوساط ثقافية دون أخرى، ما يعني أن هذا النوع من التناص يكشف على الأقل عن ثقافة المجتمع (المتلقين) للنص الذى أورد مثلها.

١- يقول (عُطَارِدُ بنُ قُرَّان)[6]: [الطويل]

رَوَى نَمِرٌ عنْ أَهْلِ نَجْرانَ أَنَّكُمْ عَبِيْدُ العَصَا لَوْ صَبَّحَتْكُمْ فَوَارِسُ

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٣.

(٢) المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء: ٢٠٦.

(٣) ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط/١، ١٩٨٧م: ٢٣٩ وفيه رُبَيْع بدل كليب.

(٤) شعر البعيث المجاشعي، جمعه وحققه: الدكتور عدنان محمد أحمد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د. ط، ٢٠١٠م: ٩٢.

(٥) المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء: ٢٠٦-٢٠٧.

(٦) أشعار اللصوص وأخبارهم: ١/١٠٥.

لا شك أن (عبيد العصا) كناية عن ذل القوم[1] الذين هجاهم (عطارد) هنا ، مع هذا لايمكن الاكتفاء بهذه الدلالة لتعلق عبارة (عبيد العصا) بالتاريخ ، فعبيد العصا تقال لبني أسد حتى ذهبت مثلا عند العرب[2] .

ولأنَّ الرواية لم تنص على نسبة المهجوين أكانوا من بني أسد أم لا ؟ جاء هذا التناص ليقرب صورة القوم مهما كانت نسبتهم أنَّهم أذلاء لأتباعهم ، كبني أسد .

٢- يقول (مالك بن الريب)[3] : [الطويل]

مَا زِلْتَ يَوْمَ الصُّغْدِ تَرْعَدُ وَاقِفًا ... مِنَ الجُبْنِ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَتَنَصَّرَا

وَمَا كَانَ فِي عُثْمَانَ شَيْءٌ عَلِمْتُهُ ... سِوَى نَسْلِهِ فِي رَهْطِهِ حِيْنَ أَدْبَرَا

وَلَوْلاَ بَنُو حَرْبٍ لَطُلْتُ دِمَاؤُكُمْ ... بُطُونَ العَظَايَا مِنْ كَسِيْرٍ وَأَعْوَرَا

يهجو (مالك بن الريب) (سعيد بن عثمان بن عفان) ويرميه بالجبن ، ثم لا يكتفي بحاله في يوم الصُّغْد ، بل ينقل حادثة مرت في التاريخ وهي هروب أبان بن عثمان في معركة الجمل ، وهي قوله : (سوي نسله في رهطه حين أدبرا) وقصد من (نسله) أبان وإن دلت هذه اللفظة على الجمع غير أن كلمة (أدبرا) توضح أن المقصود منها المفرد ، وأراد من (رهطه) أي معسكر عائشة وطلحة والزبير ، والضمير فيه يمكن أن يعود إلى عثمان أو إلى (نسل) ودليل

---

(١) يُنظَر : تاج العروس : (عصو) ٣٩/٥٧ .

(٢) مجمع الأمثال : ٢/١٩ .

(٣) شعراء أمويون : ١/٢٩ . الصُّغْدُ : بالضم ثمّ السكون ، وآخره دال مهملة ، وقد يقال بالسين مكان الصاد : وهي كورة عجيبة قصبتها سمرقند . معجم البلدان : ٣/٤٠٩ . والطَّلُّ : هَدْرُ الدَّم وقيل : هو أن لاَ يُثأر به أو تُقبل دِيَتُه ، وقد طَلَّ الدمُ نفسُه طَلاًّ وطَلَلْتُه أنا . لسان العرب : (طلل) ١١/٤٠٥ . والعَظاية على خلقة سامّ أبرص أُعيظِمُ منها شيئًا ، والعَظاءَة لغة فيها كما يقال امرأة سَقَّاية وسقَّاءَة ، والجمعُ عَظايا وعَظاءٌ . لسان العرب : (عظي) ١٥/٧١ .

إرادة هروب (أبان بن عثمان) الوصف (بطون العظايا من كسير وأعورا) وهو ما يثبته التاريخ أنَّه كان أبرص وأحول وأصم، يقول صاحب أنساب الأشراف: «وأمّا (أبان بن عثمان) فشهد الجمل مع عائشة فكان أول من انهزم وكان أبرص أحول أصم»[1].

إن التناص التاريخي يقلل من الاحتمالات الممكنة في النص، فبدونه يمكن أن يُحمل الكلام كُلُّه على (سعيد بن عثمان) وهو ليس بمراد، فأسهم التناص مع قرائن أخرى في فهم النص فهماً صحيحًا.

---

(١) أنساب الأشراف: ٦/٢٤٩.